نجاة

كان ليلاً ثقيلاً ثقل الجبال.... يحبو نحو الصباح بخطىً وئيدة... بعيدة متسمرة. كـتسمّر الحزن فينا.... مشيت في ظلام ذاكرتي وكان صدى السنين يتردد موحشاً في قاع أرقي تسللت خلسة، جلست وحيدة في عتمة ألفت صمتها وسواد لم يبدده إلا بصيص سيجارة خافت على إيقاع مريب للوهلة الأولى.... انتفض قلبي خوفاً.... ومالبثت أن تنبهت لقطرات الندى التي تتساقط من وعلى أوراق الجوز بإيقاع منتظم فقد بدأت خيوط الصباح تلوح في أفق قريتي الوادعة ما أروع صباحات بلدي ببرودتها التي تنخر عظامي... بالرغم من دفء شال أمي الذي يلفني بعناية لعله برد الذكريات... لا أكثر وشتاء الحنين القارس الذي يأتيني في كل الفصول.... صحيح أن أشجار حديقتنا قد حجبت تلك التلة عن عينيّ التي لا تبرحها.... كلما أتيت هنا لكني أنا الآن أراك

بقلبي.... بذاكرتي التي تضج بك وأعلم.... أنك مازلت ترقد هناك.... غير آبه بعداد السنين الذي يدور.... ويدور ولا يزيدنا إلا فقداً وألماً أرى شجيرات الآس بزهرها الأبيض الناعم.... فعبقها يملأ أنفي أرى أغصان الأشجار كيف ترتجف على وريقاتها المتساقطة أيلول آه..... من السنين التي تتمخض كل عام..... لتنجبك.

****